

# المحاضرة الأولى: مفهوم الأصل

(في اللغة والاستعمال القرآني)

الأستاذ المساعد الدكتور

جبار كاظم الملا ؛ رئيس قسم (الفقه وأصوله)

كلية العلوم الإسلامية/ جامعة بابل

٢٠١٩ / ٢٠٢٠ م

الأستاذ المساعد الدكتور/ جبار كاظم الملا؛ رئيس قسم (الفقه وأصوله)

المحاضرة الأولى مادة: أصول الفقه/ قسم علوم القرآن

المستوى الثالث: الفصل الدراسي الأول، ٢٠٢٠ م

### الأصل في اللغة

للأصل في اللغة عدّة معاني، أحدها: الأصل: الأسفل، يقال: أصل الشّيء: أسفله<sup>(١)</sup> والثاني: الأصل: المُعْتَمَد (المُرْتَكِز)، يقال: أصل الشّيء: مُعْتَمَدُهُ أي: الذي يَعْتَمِدُ عليه وَيَرْتَكِزُ<sup>(٢)</sup>، والثالث: الأصل: الأساس، يقال: أصل الشّيء: أساسُهُ<sup>(٣)</sup>. والأصل حقيقة في الماديّات، نحو: أصل الجبل، وأصل الحائط، ومجاز في العقليّات، نحو: الأصل في المسألة كذا، وأصل العداوة بينك وبين فلان كذا<sup>(٤)</sup>.

نستخلص ممّا تقدّم عدّة أمور، أحدها: إن الأصل – في اللغة – له ثلاثة معاني هي: (الأسفل، المرتكز، والأساس)، والثاني: إن هذه المعاني الثلاثة هي معاني متقاربة يمكن أن تؤدي معنى واحداً، لو ضُمَّت بعضها إلى بعض، والثالث: بضمّ المعاني الثلاثة بعضها إلى بعض يمكن أن نعرّف الأصل - في اللغة - هو: ما يرتكز عليه الشّيء، ومرتكز الشّيء: أسفله وأساسه. والرّابع: إن الأصل حقيقة في الماديّات، ومجاز في العقليّات.

### الأصل في القرآن

الأصل في الاستعمال القرآني ورد بثلاثة مواضع، أمّا الموضع الأوّل فهو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾<sup>(٥)</sup> والأصل في هذا الموضع ورد بمعنى: القاعدة، يقال: أصل الشّيء: قاعدته<sup>(٦)</sup> أي: قاعدتها ثابتة، وقال الطبرسي (ت/ ٥٤٨هـ) – حين فسّر هذه الآية الكريمة – ((الأصل سافل، والفرع عالي))<sup>(٧)</sup>.

(١) الفراهيدي / كتاب العين، ١ / مادة: (أصل)، الفيومي / المصباح المنير / مادة: (أصل)، الفيروز آبادي / القاموس المحيط / مادة: (أصل).

(٢) أبو هلال العسكري / الفروق اللغوية / ١٨٣.

(٣) الفيومي / المصباح المنير / مادة: (أصل).

(٤) أبو هلال العسكري / الفروق اللغوية / ١٨٣.

(٥) إبراهيم / ٢٤.

(٦) الراغب الأصفهاني / معجم مفردات ألفاظ القرآن / مادة: (أصل).

(٧) الطبرسي / مجمع البيان، ٦ / ٤٠٤.

وأما الموضع الثاني فهو قوله تعالى : ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾<sup>(١)</sup> ، أي : على قاعدتها<sup>(٢)</sup> وأما الموضع الثالث فهو قوله تعالى : ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾<sup>(٣)</sup> ، أي : تنبت في أسفل الجحيم ، أوقع الجحيم .

يتَّضح لنا ممَّا تقدَّم : إنَّ الاستعمال القرآني استعمل الأصل بمعناه اللغوي (الأسفل) وأضاف للأصل معنى آخر لمعانيه اللغوية ، هو : القاعدة . وبهذا يكون قد وسع دلالة اللغوية ، وإن كان مؤدى المعنى اللغوي - الأساس - والمعنى القرآني - القاعدة - واحدًا لأن الأصل سافل ، والقاعدة سافلة أيضًا . وبمعنى آخر : أصل الشيء : أساسه وقاعدته لأن الأسفل والأساس هما مرتكز الشيء ، وهذا المعنى بعينه ، هو ما تؤدیه القاعدة وعليه يمكن القول : إن الأصل بمعنييه - اللغوي والقرآني - يؤدي معنى واحدًا ، هو : ما يرتكز عليه الشيء ويبني<sup>(٤)</sup> ، ومرتكز الشيء : أساسه وقاعدته التي يبني عليها .

ومن الجدير بالذكر أنَّ السَّبب وراء افراد الاستعمال القرآني عن اللغة : هو للوقوف على الاستعمال القرآني الخاص لمفردات اللغة بلحاظ المعنى ، فالقرآن وإن كانت مادته لغوية إلاَّ أنَّه يستعمل اللفظة الموجودة في اللغة ، ويتبنَّى معناها اللغوي بعينه تارةً ، ويوسِّع دلالتها اللغوية تارة ثانية ، ويضيق دلالتها اللغوية تارة ثالثةً ، أو يأتي بمعنى جديد لها لم تتطرق له اللغة تارةً رابعةً ، فإذا استثنينا المستوى الأوَّل نجد أنَّ القرآن يتصرَّف بالدلالة اللغوية في المستويين الثاني والثالث ، وقد أثرى اللغة في المستوى الرابع ؛ لأنَّه أضاف لها معنىً جديدًا .

(١) الحشر / ٥ .

(٢) ظ : الطبرسي / مجمع البيان ، ٩ / ٣٢٨ .

(٣) الصافات / ٦٤ .

(٤) د . عبد الهادي الفضلي / مذكرات في أصول الفقه (بحث) / ٢٥١ .